خارج المدى

في النهضة..
الحافلات تذهب الى السماء

احمد الهاشم

يبدو ان اكثر ما يتسع في بلادنا هو مساحة الموت والمقابر ، و اكثر ما يضيق فيها هو مساحة الآمال و الأحلام، اذ ان كل يوم لا يرتضي الا ان يستفتح سويعاته بدماء العراقيين. كما لا ترتضي حقيبة الأخبار القادمة من بغداد. الا ان تكون مكتظة بأكبر قدر ممكن من أعداد الضحايا .بيد ان الأخبار محايدة لا يهمها سوى دقة الارقام ووثوق المصادر المستقاة منها، اذ ليس فيها ام فقدت أبناءها او زوجة ترملت او صبية و صبايا فقدن معيلهن واسلم قدرهن الى المجهول. جرائم ترتكب ولا تجد " حوبتها " في شيئ فاغلب مرتكبيها مجهولو الهوية، والعزاء الوحيد ان لهم صفة واحدة "ارهابيون". في حين مازال القصاص منهم بعيدا، فيما تتزايد اعداد الضحايا كأن البلاد تحولت الى مباءة. كل هذا وسط انفلات امني وتراخ سياسي وفساد اداري وشحة في الخدمات والحياة. حتى لتبلغ المرارة حدا يبيح لنا ان نتساءل عن ضرورة وجود اجهزة ووزارات ولجان وهيئات ليس لديها ما تفعله سوى اعلان قصورها عن فعل شيئ.

سيارة تنفجر في وسط النهضة و اخرى تنفجر في وجه من حاول الخروج عند البوابة و ثالثة تستقبل الجرحى قرب المستشفى لتجهز على من تبقى لديهم رمق اخير. فالجرحى وبدلا من ان ترعاهم ملائكة الرحمة صاروا من حصة ملك الموت. تفنن في القتل و التقتيل و استقتال في سبيل الاجهاز على اكبرعدد ممكن من الابرياء. غير انه تفنن لايشرف احدا الادعاء به. تفنن يفتقرالى البطولة و نبل الهدف. تفنن يستقوي على العزل و المستضعفين و يقوي موقفه المتهافت بقتلهم. كي يوجه رسائله الى من هو اقوى منه بالتأكيد.

لا نجد هنا في ماساة النهضة سوى انها مناسبة للتساؤل عن كل ما يتعلق بتلك المفردات (المبادئ) التي تصبح ازاء مشهد الضحايا الابرياء مجرد رطانة من المفاهيم التي ما عادت تجد "مصداقيتها". فما فائدة الحديث عن الوطن الواحد اذا كان ثمنه ان نموت فيه جميعا. وطن لا يبرع الا في ان يكون قوة طاردة لمواطنيه. و مقبرة لكل احلامهم . وطن لا تجد صورة خارجية له سوى حقائب ابنائه على مذلة الحدود الأخرى. وما فائدة الحديث عن امة لا تبرع أنظمتها سوى في القصاص من ارادة العراقيين في الخلاص من الظلم والاضطهاد والقمع. وما فائدة أمتين اسلامية و عربية لا تجدان ما تقولانه بشأن الارهاب الموجه الى العراقيين الا على انه من مخططات الصهيونية. و لكنها اذا كانت كذلك فلماذا لاتدان هذه الاعمال الصهيونية كي يستقيم الامر؟!! ولماذا اذا ماصدرت ادانات (و على ندرتها) فانها تبدو خجولة وجلة هي و الصمت سواء؟! اذا لا ترافقها اجراءات او زيارات ولو من باب رفع العتب! ثم لماذا تقوم الدنيا و لا تقعد ان تعرض مواطنو دولة عربية الى عمل ارهابي سيحسب في حساب "المفرد" مقارنة بحساب " الجملة" المصدرة الى العراق. حتى ان القمة العربية المزمع عقدها لم تأت إلا في اعقاب الاعمال الارهابية في مصر؟! و اذا ما تجاهلنا المستوى الرسمي وانتقلنا الى المستوى الشعبي . فلنا ان نتساءل عن السر في ان شعوبنا العربية التي عرف عنها انها عاطفية الى حد انها لا تستسيغ سوى الغناء الحزين و تذرف الدمع على ابسط مشهد وجداني في المسلسلات التلفازية. لا تذرف دمعة على مصاب العراقيين و مآسيهم!! في الاقل هذا ما كانوا يجاهرون به ويشهرونه حين كان العراقيون يعانون حصارا جائرا في عهد الدكتاتورية. ام انها حينذاك كانت دموعا مدفوعة الثمن و دعاية اعلانية مسبقة الدفع! وهي بالتالي لم تكن تعنيها ماساة العراقيين بل "الاستجابة" المباشرة لـ "حافز" كوبوني نفطي، فالطاغية يغدق النفط و هم يغدقون الدموع. ويابلاش !!

ابناء الجنوب هؤلاء الذين كانت حياتهم ومازالت نوعا من العقوبة .لاحقهم شبح الموت كي يكمل آخر سطر في حكاية حياتهم الحزينة. و بدلا من حافلات تقلهم من العاصمة الى اهاليهم . استعدت مواكب تشييعهم و توديعهم الى المقبرة التي بات الطريق اليها مقبرة ايضا، لينتقلوا من مثلث السيارات الثلاث الى مثلث الموت، كأنهم احترفوا دور الضحية و ليظل الثوب الاسود اللصيق بعوائلهم ينوس بين من قتلوا في حروب الطغيان او سجونه وبين من قضوا بعد القضاء على الطغيان. ولكن مع بقاء حروبه.

كانت الدماء تراق في العرف الشعبي على كل شيئ جديد. كي يزال شره و يبقى خيره، ولكن دماء العراقيين تراق من دون ان يستجد شيئ و من دون ان يكف شر او يعم خير، بل يتفاقم الشر معلنا عصيانه المستديم و طاقته اللامتناهية في الخراب. اذا مارجعنا الى المأثور الديني (لأننا لانعتقد ان ثمة تلك القدرة الهائلة على التقتيل لو لم تكن حاضنتها دينية خصوصا في العمليات الانتحارية). فيحق لنا ان نتساءل من أي كهنوت لا انساني و لا الهي استمد هؤلاء استباحة دم الابرياء؟ اين هم رجال الدين من المسلمين كي يعلنوا صراحة موقفهم مما يحصل في العراق لا ان يستنكروا هذه الافعال حين تقع في بلدانهم، إلا اذا اعتبرنا هذا السكوت تواطؤا مع القتلة.

واذا كان من خلاصة واستنتاج لكل ما يحصل من قتل وتقتيل فهو ان من احترف القتل وسيلة للسلطة في عهد الطغيان اصبح اليوم يعده هدفا بحد ذاته. هذه الخلاصة معطوفة على اخرى مفادها يصطرع طويلا كي لا يجزم بان معظم عناصر النخبة السياسية العراقية من معارضة وحكومة. ومن مقاطعين ومشاركين. ومن ناقمين ومنتقمين و من غائبين وحاضرين. ومن مغيبين وظاهرين. مازالوا يفتقرون الى فن السياسة. ومازال البون شاسعا بينهم وبين مرحلة رجالات الدولة. اذ مازال الأعم الأغلب ابناء ايديولوجيا وعقائد. وليسوا ابناء سياسة ودولة. وما زال الاعم الاغلب ينتمي الى العقيدة او الفئة او الطائفة او الملة والنحلة. و قد كان محقا رئيس الجمهورية مام جلال حين قال في احد لقاءاته المتلفزة إن الأحزاب الحاكمة اليوم (و لم يستثن الرجل حزبه) مازالت تفكر بعقلية المعارضة و ليست السلطة!!ونضيف انها حتى اذا و صلت الى الخروج من مرحلة المعارضة الى السلطة. فعليها ان تتجاوز السلطة الى الدولة. نحن بحاجة الى رجال دولة: كلمة نقولها بالم. نريد رجالا يرتكنون الى الأرض ولا يرتكزون على سماء ما. رجال النسبي و ليس المطلق . فالسياسة لعبة توازنات وتسويات ومسك العصا من المنتصف. نريد رجال دولة وسياسة. من المعارضة والسلطة. اما اذا كان الهدف هو السلطة فقط . فسينالها السياسيون بأي حال ولكنهم حينها عليهم ان يجدوا الدولة والوطن الذي يتسلطون عليه، و بخلاف ذلك ستظل الحافلات تقلُ ارواحنا الى السماء.

ظواهر ومسارات

استنساخ الكتب وصفة لكل الأزمنة
القارئ ينشد إليها لأنها باتت جزءاً من تاريخه!

عادت من جديد ظاهرة كتب الاستنساخ إلى الظهور ، بعد أن كادت تختفي وتتلاشى ، ففي تسعينيات القرن الماضي ، وللأسباب المعروفة السياسية والاقتصادية ، كان اصحاب مكاتب الاستنساخ في بغداد بالدرجة الأساس يلجؤون إلى استنساخ الكتب وبيعها بأسعار تتناسب ودخل القارئ ، فالكتاب لم يكن يصل إلى المكتبات إلا بنسخ محدودة ، أو كان يصل عن طريق المسافرين من الأدباء العراقيين أو القادمين العرب ، ولم تكن هنالك من فرصة أخرى أمام القارئ ، غير الاستنساخ ، عبر مكاتب متوزعة في الباب المعظم ، وشارع المتنبي ، وأماكن أخرى في بغداد ، فكان أبرز هذه المكاتب مكتبة الراوي قرب المكتبة المركزية ، إذ كانت تحوي هذه المكتبة اهم المصادر المفقودة ، سواء التي تخص الطلاب أم التي تخص الأدباء! فالاستنساخ فيها كان جارياً على قدم وساق ، بحيث لا يتعذر عليك الحصول على ما تريد ، أو يوعدك بأن يهيئ لك المصدر الذي تريد بعد يوم أو يومين وهكذا.

بسبب عدم الاستيراد وارتفاع الأسعار تعود بحلة جديدة

المدى الثقافي

تصوير :سمير هادي

عبد الرحمن منيف والقارئ في الحكاية لامبرتو ايكو، وعشرات الكتب الأخرى التي كانت تباع في شارع المتنبي ومعظم أصحاب المكتبات هذه، والباعة، كانوا يبيعون الكتب المذكورة بالتقسيط أيضاً، ولاسيما للمثقفين وذلك بسبب الظروف المادية الصعبة المعروفة تفاصيلها، أما الكتب المنوعة فكان يتم تداولها خفية، بين الباعة ومعارفهم..

واستمر الحال إلى ما قبل التاسع من نيسان العام ٢٠٠٣، إذ تدفقت الكتب الأدبية والمعرفية والسياسية والروايات ودواوين الشعر ولكن توصل القارئ إلى أن سعر الكتاب لا يتناسب ودخله الجديد، فليس من المعقول أن يشتري القارئ كتاباً بسعر عشرة آلاف دينار أو خمسة وعشرين ألف دينار، وحصلت فجوة بين القارئ والكتاب من جديد وتم حل الإشكال هذا، بالرجوع إلى الاستنساخ من جديد، والقيام باستنساخ الكتب المهمة، وتصوير أغلفتها عن طريق السكرين وبيعها بسعر يتناسب ودخل القارئ الآن، فالكتاب الذي سعره (خمسة وعشرون ألف دينار) بات يباع عن طريق الاستنساخ بستة آلاف دينار وهكذا باقي الكتب الأخرى، وانطلاقا من هذا، التقينا عدداً من باعة هذه الكتب للوقوف على آرائهم وبيان الأسباب التي دعت إلى العودة إلى ظاهرة الاستنساخ.

البائع محمد فخري وهو مثقف وحاصل على شهادة جامعية قال:

سابقاً كان الاستنساخ بسبب منع الكتب من التداول في السوق، فنقوم باستنساخها، وبيعها لمن تتوسم فيه النزاهة، أما الآن فالطلب على الكتاب كبير جداً، والكتب المستوردة قليلة جداً، وأسعارها مرتفعة، فلذلك لجأنا إلى الاستنساخ، علماً أن المستوردين يفضلون استيراد الدورات التراثية والدينية، ويبتعدون عن استيراد الكتب الثقافية والمعرفية.

أما سعدون هليل الكاتب والمثقف وبائع الكتب فقد حمل بعض المؤسسات الثقافية مسؤولية ذلك إذ قال: سبب العودة إلى الاستنساخ هو غلاء أسعار الكتب بشكل لا يصدق، ودخل الكثير من المثقفين الذي بقي على حاله، برغم التغييرات السياسية ذاته، ما بين خمسة دولارات وثمانية دولارات وربما أكثر.

وأضاف: المثقف ما زال يعاني من شظف العيش، لذلك يلجأ إلى البديل الأرخص من حيث القيمة المادية وليست القيمة المعنوية.

أما البائع علي صخر الحاصل على شهادة جامعية عليا في الدراسة العلمية. فقال: نحن نجيد فن اختيار الكتاب الذي نستنسخه من خلال توصية بعض المسافرين إلى الخارج. ونعرف لعبة القراءة جيداً، ونفهم ماذا يقرأ المثقف العراقي، وانطلاقاً من هذا المفهوم نستنسخ الكتب ونبيعها إلى القارئ الذي بات جزءاً منا.

فيما قال عبد الستار ربيع بائع الكتب العلمية وهو أيضاً مثقف ويقرأ الكتب الثقافية، وحاصل على شهادة جامعية: هنالك طلب كبير على الكتب بشكل عام ولاسيما الكتب العلمية التطبيقية، لذلك باستنساخنا لهذه الكتب نقوم بدعم الثقافة العلمية وتوفير المصادر.

واستطلعنا آراء بعض المثقفين والقراء حول ظاهرة الكتب المستنسخة، فكان أول لقائنا مع الكاتب علي دنيف حسن: أنا مع هذه الظاهرة الصحية التي تدعم المثقف العراقي، وتوفر له الكتب التي يريدها وبسعر رخيص جدا، فدخلنا ما زال على حاله، وارتفعت الأسعار بشكل لا يصدق وبإمكاني أنا وسواي الحصول على ما نريد لإدامة حياتنا الثقافية.

فيما قال السيد بشار الشداد الحياوي وهو مدرس لغة عربية، ومثقف، وكان يبيع الكتب في العهد السابق: الاستنساخ وليد الفترة الماضية، وكنا نجد المتعة عندما نوفر للقارئ ما يريد، أما الآن فإن الاستيراد تركز على نوع واحد من الكتب لذلك كان علينا فتح نوافذ كبيرة لنطل من خلالها على ثقافات العالم، فكانت إعادة طبع هذه الكتب بالطريقة التي نراها، وهي الاستنساخ.

إن استمرار ظاهرة الاستنساخ، بحاجة إلى دراسة لبيان أهميتها ودورها في حياة المثقف العراقي الذي كان يهفو وما زال إلى الكتاب الجديد، الذي يجد فيه ضالته، متنازلاً عن كثير من مغريات الحياة لدعم حياته الفكرية والمعرفية، وليثبت لنفسه أولاً أنه متواصل مع كل كلمة أو حرف أو كتاب جديد يصدر في أي مكان من العالم، متحدياً الظرف الصعب والسهل معاً، وبالتالي ليثبت لسواه في أي مكان ذلك.

ملاحظة - زودنا أصحاب كتب الاستنساخ بعدد من العناوين التي يهفو إليها القارئ هذه الأيام، ننشرها مع هذا التحقيق.

١- فصول من تاريخ الإسلام السياسي هادي العلوي.
٢- نقد الخطاب الديني: نصر حامد أبو زيد
٣- غرامشي وقضايا المجتمع المدني
٤- كتب حسن العلوي
٥- مذكرات - زكي خيري - مذكرات سلام عادل
٦- كتب صادق جلال العظم: ما بعد ذهنية التحريم
٧- النزعات المادية في الفلسفة العربية والإسلامية د. حسين مروة.
٨- رهانات النهضة في الفكر العربي / ماهر شريف
٩- كتاب الشخصية المحمدية / معروف الرصافي
١٠- أرض السواد: عبد الرحمن منيف
١١- دفاعاً عن المادية - صادق جلال
١٢- حول الدين- ماركس -صادق العظم
١٣- بنية الوعي الديني والتطور الرأسمالي دراسات أولية / د. فالح عبد الجبار
١٤- حروب دولة الرسول - سيد محمود القمني
١٥- الصحوة الإسلامية في ميزان العقل- د. فؤاد زكريا
١٦- الوعي والوعي الزائف في الفكر العربي- محمود أمين العالم.

وزارة الثقافة تشكل هيئة استشارية ثقافية

المدى الثقافي

تشكلت في وزارة الثقافة هيئة استشارية ثقافية تضم اسماء لامعة ومعروفة في الوسط الثقافي ولها تاريخ مشرف تتكون من اكثر من ٣٠ شخصية ثقافية، تضم اختصاصات في الادب والموسيقى والمسرح والفن التشكيلي والصحافة وحوار الحضارات والدراسات والنقد والقانون والعلوم السياسية والثقافة الدينية والكوردية والتركمانية والكلدانية والمندائية، حيث تعمل على تأمين ثقافة عراقية موحدة تتبنى رعاية القدرات الثقافية والابداعية في عراقنا الجديد.

وقال السيد نوري الراوي وزير الثقافة: ان تأسيس هذه الهيئة جاء بعد مناقشات مستفيضة للوصول إلى الكيفية التي تتم بموجبها خدمة الثقافة العراقية ومن اجل ان تتوحد همومنا كما تتوحد آمالنا وأحلامنا وغاياتنا وان نبتعد قدر الامكان عن الهموم الفردية والفئوية او الطائفية والحزبية الضيقة، وأكد سيادته على العمل على تأسيس مشهد ثقافي عراقي انساني يندمج او يقترب من المشهد الثقافي العربي والعالمي.

وأشار الوزير إلى ان وزارة الثقافة تؤمن وتدعو إلى المشاورة في الامر لكي تكون الرؤية اوضح ولكي تؤسس بشكل علمي لديمقراطية الرأي وسعة الصدر وانشراح الروح واضعاف داعية التفرد بالقرار، وأضاف : أن الهيئة الاستشارية هي أول هيئة استشارية بهذه السعة في زمن ما بعد سقوط النظام السابق على حد علمنا وقد توصلنا إلى اختيار عدد من الاسماء الثقافية المعروفة والتي تمتلك تاريخاً مشرفاً وتجربة عميقة ومنجزاً طيباً وستبقى ابواب هذه الهيئة مفتوحة لكل العقليات الخيرة وفي كافة الاختصاصات ان دعت الضرورة إلى ذلك.

بعدها تم استعراض النظام الداخلي للجنة الاستشارية الذي تضمن اكثر من خمس مواد.

وقال عقيل المندلاوي مدير عام العلاقات الثقافية ان اللجنة تهدف إلى تشجيع ورعاية المنجزات التي تأتي بها القدرات العراقية كما تعمل الهيئة على حماية الذوق العام في الثقافة والادب. كما تعمل على اصدار قوانين كقانون حماية الملكية الفكرية او أي قانون تراه مناسباً. وايضاً تتبنى رعاية وتشجيع المواهب الابداعية الشابة والمساهمة في تطوير قدراتهم الثقافية والابداعية.